الشعراء المخضرمون

كعب بن زهير

(المتوفى سنة 24 هـ)

نشأته وحياته:

هو أبو عقبة كعب ابن زهير ابن أبي سلمى المزني. نشَّأَه أبوه الأدب والحكمة فشب فصيحاً شاعراً. ولما ظهر الإسلام خرج هو وأخوه بجير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بدا له فافتخر وتقدم بجير، فسمع كلام رسول الله وأسلم. فغضب كعب لإسلامه ونهاه، وهجاه وهجا رسول الله معه بأبيات يقول فيها:

ألا أبلغا عني بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا؟

سقاك بها المأمون كأساً روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

ففارقت أسباب الهدى واتبعته ... على أي شيء ويب غيرك دلكا

على مذهب لم تلف أما ولا أبا ... عليه ولم تعرف عليه أخا لكا

فإن أنت لم تفعل فلست بأسف ... ولا قائل إما عثرت لعاً لكا!

فأهدر الرسول دمه، وأرجف الناس بقتله. وأشفق عليه أخوه فنصحه بالإسلام والتوبة والمثول بين يدي الرسول يطلب رضاه وعفوه، فلما استيأس كعب من المجير والنصير جاء إلى المدينة، وتوسل بأبي بكر إلى الرسول. ودخل في الإسلام، ومدحه بلاميته المشهورة، فعفا عنه وأمنه وخلع عليه بردته؛ فمازالت في أهله حتى اشتراها معاوية منهم بأربعين ألف درهم، وتوارثها الخلفاء الأمويون فالعباسيون حتى آلت مع الخلافة إلى بني عثمان.

شعره:

نشأ كعب في روضة الشعر وباحة القريض فرسخت فيه ملكته، وتجلت في صغره شاعريته. فأخذ يقرضه وهو دون المراهقة. فنهاه أبوه مخافة أن يروي عنه ما لا خير فيه فيلزمه عاره. فكان كعب يأبى أن ينتهي، ويلح أبوه مع منعه حتى أمتحنه امتحاناً شديداً طمأنه على نضج قريحته وسلامة طبعه؛ فتركه لنفسه فتقحم أبوابه، وسلك شعابه، وأتى منه بالجيد الرصين والرائق المعجب. وأوشك أن يسامي أباه لولا غرابة في ألفاظه، وتعقيد في تراكيبه، وقصور في مطولاته؛ ومن كل ذلك برئ أبوه. ومما يدل على مكانة كعب وقيمة شعره أن الخطيئة وهو من نابهي الشعراء توسل إليه أن ينوه بذكره في شعره حتى يشتهر، فقال:

فمن للقوافي شانها من يحوكها إذا ما مضى كعب وفوز جرول[1]

كفيتك لا تلقى من الناس واحداً تتخل منها مثل ما نتنخل

نموذج من شعره:

من عيون شعره مشوَبته التي مدح بها الرسول، ومطلعها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

ومنها:

وقال كل خليل كنت أمله لا ألهينك إني عنك مشغول

فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم فكل ما قدر الرحمن مفعول

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوماً على آلة حدباء محمول

أنبئت أن رسول الله أوعدني والوعد عندك رسول الله مأمول

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة الـ قرآن فيها مواعيظ وتفصيل

لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وقد كثرت في الأقاويل

---

(1) جرول: اسم الحطيئة.

ومن قوله:

السامع الذم شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السور إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل